http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1580) السنة السابعة -الخميس (13) اب 2009

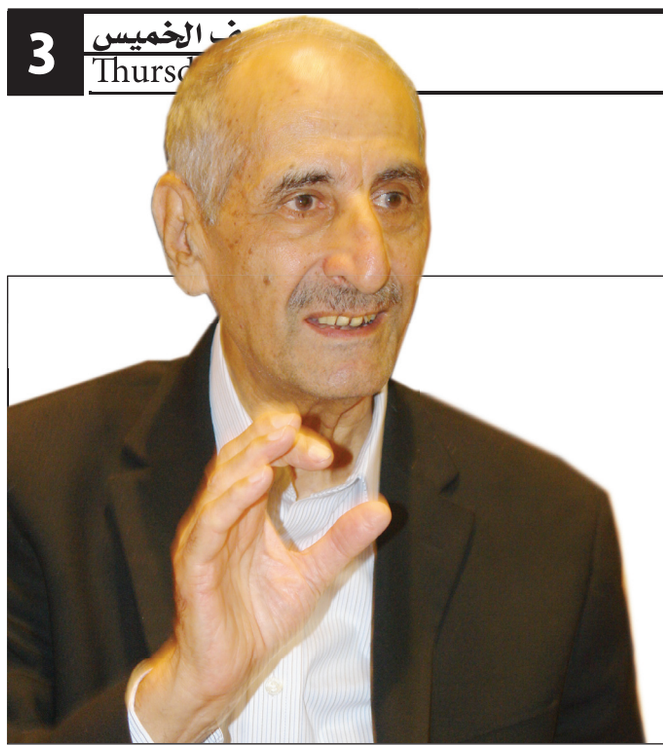

ضيف الخميس

اعتبر أن الطبيعة الجغرافية ظلمت الأكراد

المؤرخ الكبير كمال مظهر: فصلي من الحزب الشيوعي أصعب أيام حياتي

حوار / يوسف المحمداوي
تصوير / مهدي الخالدي

ابرز المؤرخين والباحثين العراقيين المعاصرين، ولد في قرية اخجلر التابعة الى محافظة كركوك في العام ١٩٣٧ انهى دراسته الثانوية في السليمانية، حصل على الدكتوراه في العام ١٩٦٣ من معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية، عاد من موسكو مع اعلان بيان ١١ اذار عام ١٩٧٠، انه الاستاذ كمال مظهر احمد، التقته المدى في ضيف الخميس مؤكدا لها بان يوم فصله من الحزب الشيوعي العراقي هو من اصعب ايام حياته مبينا اسباب فصله لاتهامه بالبرجوازية الصغيرة زورا وبهتانا، واوضح مظهر بان اعتراف الدستور العراقي بحق تقرير المصير للاكراد خطوة رائعة ويعزز الاخوة بين مكونات الشعب مؤكدا بان القادة الكرد يعملون على جعل الاقليم جزءاً لا يتجزأ من العراق.

مرتاح جدا لحواركم مع كاكائي

قبل ان نبدأ رحلة الحوار اقول انا سعيد جدا بهذا اللقاء ،وانا من القراء المزمنين لجريدة المدى، وحتى في بغداد كنت احصل على المدى بصعوبة لان منطقتنا في ذلك الوقت كانت غير مستقرة امنيا، حيث كنت اسكن في منطقة الكفاءات مقابل العامرية والان انا في اربيل يوميا احصل على المدى واواظب على قراءتها من الصفحة الاولى حتى الاخيرة .

واخر ماقرأت في المدى حوار جميل مع وزير ثقافة الاقليم صديقي الاستاذ فلك الدين كاكائي في صفحة ضيف الخميس والرجل صاحب مبدأ وواقعي الطروحات وعملنا معا في عدة مجالات بعد عودتي من الاتحاد السوفيتي سابقا، بعد ان حصلت على شهادة الدكتوراه في العام ١٩٧٠ ولاخفيك بأني ارتحت لحواركم معه ولكن ليس بالضرورة ان اتفق معه في جميع طروحاته، مع قناعتي التامة بنظافة الرجل ومبدئيته وهو يعبر في آرائه عن مكونات النخبة المثلى العراقية عربا وكردا وتركمانا واقليات اخرى .

(اقرأني رجاء) اول مقال كتبته في حياتي

×متى تولد هاجس الكتابة عند المؤرخ كمال مظهر؟

-اول ماكتبت هو مقال في النشرة الجدارية عندما كنت طالبا في الصف الرابع الثانوي القسم الادبي وتلك المقالة جذبت انظار الاساتذة والطلبة وكان عنوان المقال الذي كتبته في العام ١٩٥٤ بعنوان (اقرأني رجاء) تحدثت فيه عن استاذ كان يدرسنا مادة الرسم ،وكان اسمه مجيد رشيد وكان يكرس درسه للطلبة من خلال توجيهنا وارشادنا باتجاه السبيل التربوي الوطني الصحيح ،فكانت تلك المقالة نقطة الشروع الاولى في الكتابة وبعد انتصار ثورة ١٩٥٨ بدات الكتابة في اللغتين العربية والكردية وقمت بنشر العديد من كتاباتي في الصحف منها الجريدة (تشرين)التي كان رئيس تحريرها الشاعر الكبير كوران ،وهوشاعر شيوعي ،وكان معتقلا واطلق سراحه بعد انتصار ثورة ١٤ تموز، ونشرت ايضا في صحيفة البلاد،وكذلك الاهالي التي يرأس تحريرها كامل الجادرجي، وهكذا بدأت انزل الى ميدان الكتابة،ومن الاشياء التي اعتز بها،المقابلة التي اجريتها مع المرحوم ملا مصطفى البارزاني بعد انتصار ثورة تموزوعودته الى العراق/ وطلبت منه في نهاية اللقاء التوقيع على اوراق تلك المقابلة وما زلت احتفظ بالصور الى الان.

عبد الرزاق الحسني مؤرخ كبير ولكن

× من هم برأيك المؤرخون العرب الذين تناولوا القضية الكردية بشكل منصف وعادل؟

– عبد الرزاق الحسني، مؤرخ كبير وفي كتابه الموسوم تاريخ الوزارات العراقية باجزائه العشرة تحدث عن القضية الكردية، ولكن في بعض الاحيان كان ينتقد انتقادا غير علمي بعض المواقف الكردية، وانا قلت له هذا الكلام خلال زياراتي المتكررة له .وكان معي في تلك الزيارات احد كبار المفكرين الكرد المرحوم الاستاذ مسعود محمد الذي لا يستطيع احد ان يجاريه بالنطق والحديث في اللغة العربية ،وهناك من لبنان الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك انصف الاكراد في كتاباته وانا تعرفت به عقب عودتي من الاتحاد السوفياتي بعد العام ١٩٧٠ ولقد استفدت كثيرا من كتابه المعنون (النفط مستعبد الشعوب) الذي الفه في العام ١٩٣٤، وقلت له حين التقيته يا استاذ ان عنوان كتابك هذا ينطبق على الاكراد قبل غيرهم وايدني في هذه المسألة خاصة في قضية كركوك التي اصبحت غاية الجميع بسبب ثروتها النفطية.

بيان ١١اذارخطوة تاريخية مهمة .. ولكن

×اعلان الحكم الذاتي في العام ١٩٧٠ هل يمثل نقطة الشروع لتطلعات الشعب الكردي في تحقيق المصير ؟

-بيان الحادي عشر من اذار في العام ١٩٧٠ كان خطوة تاريخية مهمة جدا وكانت بداية السير في الاتجاه الصحيح ولاخفي عليك اني ماكنت افكر في العودة الى العراق على الرغم من اشتياقي لوطني واهلي، لولا اعلان ذلك البيان الذي شجعني على العودة وبالفعل كانت خطوة رائعة، لكن اعداء العرب والكرد واعداء الوحدة الوطنية، بذلوا كل ما في وسعهم من اجل النيل من ذلك البيان وخاصة شاه ايران محمد رضا بهلوي.

انتميت للحزب الشيوعي في العام ١٩٥٧

×هل كان لوجودكم في الاتحاد السوفياتي سابقا دافعا لكتابة مؤلف يتحدث عن عوامل ومتغيرات انهيار ذلك الاتحاد ؟

-انا اصبحت عضوا في الحزب الشيوعي العراقي قبل قيام ثورة الرابع من تموز وتحديدا في العام ١٩٥٧، وكان الدافع لانضمامي الى هذا الحزب هو ايماني بان الحزب الشيوعي العراقي هو الحزب الوحيد الذي يدافع عن حقوق الشعب الكردي بصورة واضحة وصريحة، وكان الحزب الشيوعي العراقي يضم في صفوفه نخبة من المثقفين العرب والاكراد، وكان يتمتع بسمعة طيبة على الصعيد الدولي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الاحزاب الشيوعية في العالم، وكان يتمتع بشعبية واسعة في اوساط الجماهير العراقية، وكان يتمتع بتأثير كبير في الحركة الوطنية العراقية، وكان يشارك في الحكم من خلال وزيرين في حكومة عبد الكريم قاسم، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع قاسم، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي السوفياتي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الصيني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الفيتنامي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الكوبي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الكوري الشمالي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الكوري الجنوبي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الياباني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الاندونيسي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الماليزي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الفلبيني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي التايلاندي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الفيتنامي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الكمبودي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي اللاوسي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي البورمي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الهندي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الباكستاني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي البنغلادشي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي السريلانكي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي النيبالي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي البوتاني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي المالديفي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الافغاني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الايراني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي التركي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي السوري، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي اللبناني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الاردني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الفلسطيني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي المصري، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي السوداني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الليبي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي التونسي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الجزائري، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي المغربي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الموريتاني، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الصومالي، وكان يتمتع بعلاقات جيدة مع الحزب الشيوعي الاثيوبي، ومعين بسيسو شاعر تقدمي فلسطيني يشعر بالام ومعاناة الشعوب الاخرى ، وانا اعده من الشعراء الانسانيين ،والتعامل الانساني صفة المبدعين الكبار، فحين يقول انتصر صلاح الدين فغدا بطلا عربيا عظيما ولكن لواندحر صلاح لاصبح كلبا كرديا حقيرا، فانا اوافقه الرأي لان ليس هناك سوء يماثل ان يكون الانسان متعصبا، نعم يسوء الانسان في تعصبه ومهما يكن شكل هذا التعصب سواء أكان تعصبا دينيا او قوميا او مهنيا.

كل اشكال التعصب شيء سلبي في حياة البشر، ولايمكن للتعصب ان يخدم الحياة البشرية فالقومية المضطهدة ،سيكون رد فعلها سيئ جدا ومن هذه الزاوية يجب ان نقيم العديد من الاحداث التاريخيةونأخذ مها درسا بليغا ليومنا هذا لاننا اليوم نمر في ظروف صعبة جدا ،على الرغم من سعادتي وانا اسمع رئيس الاقليم السيد مسعود البارزاني يقول اننا جزء من الوضع العراقي وثق بأن العرب يحبون جلال طالباني اكثر من الاكراد ،هذا الرجل الذي يحفظ الجواهري العظيم عن ظهر قلب وللاسف يدفن هذا الرمز خارج العراق .

مهاباد اول جمهورية للكرد

×متى تاسست اول دولة كردية اوكيان مستقل بخريطته السياسية والجغرافية ؟

-الدولة الميدية تأسست قبل الميلاد بعدة قرون وسقطت في عام ٦١٢ قبل الميلاد وفي العام ١٩٤٦ تاسست جمهورية كردستان في مهاباد حيث ساعدت الظروف على تاسيسها وجاء ذلك عقب انتكاسة حركة الملا مصطفى البارزاني بالعراق في العام ١٩٤٥ واصبح فيما بعد قائدا عاما للقوات المسلحة في جمهورية كردستان وله صورة بملابس الجنرال وتشير الوثائق البريطانية الى ذلك في مصادرها حيث اطلقت عليه الجنرال مصطفى البارزاني وهو يستحق اكثر.

على العرب ان لايفقدوا اخوانهم الكرد

× انت من مواليد كركوك التي تعيش هذه الايام في دائرة من الازمات اسبابها اختلاف مكوناتها التي كانت متعاقبة ، ما شعورك وانت تراها بهذا الوضع؟

– شيء مؤسف جدا ان يحصل في كركوك ما يحصل وانا لدي كتاب من اربعة اجزاء اتممت الجزء الاول منه ، لكني اصبت بوعكة صحية منعتني من اكمال الاجزاء الاخرى وسافرت الى انكلترا للعلاج، والكتاب الذي الفته كركوك وتوابعها ، حكم التاريخ والضمير، وهو دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق ، ويعجبني الاهداء جدا حيث قلت الى كل عربي يرفض ان يكون ظالما بقدر ما يرفض ان يكون مظلوما، واستندت في هذا الكتاب الى آراء المؤرخين الآخرين.

× من هم المؤرخون الآخرون؟

– احدهم مؤرخ تركماني كبير، استفدت كثيرا من كتاباته الى درجة كبيرة ، وبالنسبة لكردستانية كركوك هذا شيء بديهي وانا قلت في اكثر من لقاء مثل هذا الكلام ، فانا مثلا عشت في بانكو عاصمة اذربيجان السوفيتية ، وبانكو تقع على البحر ، ونسبة الروس والارمن والجورجيين اكثر من نسبة الاذربيجانيين الى درجة كبيرة، يعني اكثر من النصف ومع ذلك تبقى بانكو اذربيجانية وعاصمة اذربيجان الى ابد الابدين ،ولاينبغي على اخواتنا العرب ، ونا اوجه كلامي الى المسؤولين العرب القوميين وانا لاخشى من التقدميين العرب ان يعتبروا من التاريخ ، وان لايفقدوا الشعب الكردي الذي هو شعب مخلص لاخوانه العرب ،واعطيك امثلة كبيرة على ذلك الاخلاص، وعلينا مراعاة كل مكونات مجتمع كركوك ،وان نهتم بهم ، ومادامت القيادة في اقليم كردستان تؤكد بان الاقليم جزء من الوحدة العراقية فما الخوف من انضمام كركوك الى الاقليم؟.

× لكن هناك من يرى الحل هو في جعلها اقليما يدار من قبل مكوناتها ؟

. المهم ايجاد حل عادل لقضية كركوك ، وعلى الاكراد الاهتمام بجميع مكونات المحافظة .

اهم كتبي (كردستان في الوثائق السرية)

×كتابك الاخير الكرد وكردستان في الوثائق السرية البريطانية ما الجديد في تلك الوثائق ؟

. قبل كتابي هذا ، كانوا يسألوني عن اهم كتبي ، وعلى الرغم من ان المؤلف جميع كتبه عزيزة عليه ، فكنت سابقا اقول كتابي كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، وترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية بصورة رائعة من قبل الاستاذ محمد الملا عبد الكريم المدرس ،ثم قلت ان اهم كتبي كركوك وتوابعها ، الان اقول ان من اهم كتبي كردستان في الوثائق السرية البريطانية ، لانني وجدت ان التاريخ الحقيقي للاكراد وللعراقيين هو محفوظ في تلك الوثائق ، لان من كتب تلك الوثائق هم اما من خريجي جامعة اكسفورد او جامعة كامبرج ، وهما من افضل الجامعات في الدنيا ، ويطلع عليها وزير الخارجية ووكيله وبعض السفراء ، فلذلك تجدها تنطوي على الحقائق بشكل مطلق، وتحت ضغط الرأي العام البريطاني استجابت الحكومة للاطلاع على تلك الوثائق بعد مرور ٥٠ عاما ثم تقلصت الفترة الزمنية الى ٣٠ عاما ، و بحثت عن تاريخ الكرد في تلك الوثائق ومازجت بين العلاج والاطلاع على تلك الوثائق في لندن العام ٢٠٠٦ وبقيت لمدة عامين ونصف العام، وكنت مع زوجتي اول الداخلين الى الارشيف واخر الخارجين منه، وانا ادعو الحكومة المركزية في بغداد الى ارسال عدة اشخاص سنويا ليطلعوا على هذا الارشيف ،لان التاريخ الحقيقي للعرب وللعراقيين عربا وكردا يكمن في تلك الوثائق، تصور ان قاطع طريق يدعى خلو تيزا، له ملفان كاملان في الارشيف البريطاني، ماذا يمثل قاطع طريق للبريطانيين حتى يولوه تلك الاهمية، انا اسرد هذا المثل لابين دقة تلك الوثائق واهتمامها بادق التفاصيل.

التعصب الطائفي لم يكن موجودا في العراق

× هل من تأثير ايجابي لما ورد في الدستور العراقي بان من حق الاكراد تقرير مصيرهم؟

. ان حق تقرير المصير هو حق مشروع لكل شعوب الدنيا، وحق تقرير المصير لايعني الانفصال بالضرورة، ثم انك عندما تعترف بحقي في تقرير المصير هذا يقلل من غلوائي ومن تعصبي القومي ، ويعزز الاخوة بين مكونات الشعب العراقي وانا مع هذا البند من الدستور . والقادة الكرد يؤكدون دائما على انهم جزء من العراق ولاينفصلون عنه .

× كيف تنظرون الى التعصب الطائفي الذي ساد المشهد السياسي؟

. كل انواع التعصب سيئة جدا ، والتعصب الطائفي لم يكن موجودا في هذا البلد ابدا ، والله انا لم اعرف باني سني الى ان اتيت الى بغداد ، ونحن السنة والشيعة حينما كنا طلابا في دار المعلمين العالية ، كنا نذهب الى الامام الكاظم سوية في ايام عاشوراء ونشاهد مواكب العزاء هناك ، كنا في خندق واحد جميعا ، فكل انواع التعصب سواء اكان قوميا او شيعيا او سنيا ، او مسيحيا هو ليس في صالح المجتمع .

متفائل بمستقبل العراق

× كمؤرخ كيف ترى مستقبل العراق؟

. انا كمؤرخ مؤمن بأن عجلة التاريخ تسير نحو الامام ، ولايمكن ان تعود الى الوراء ، قد تعود الى فترة ما كما حدث في المانيا في فترة النازيين او ايطاليا في فترة الفاشيين، لكنها ستسير حتما الى الامام ، بالنسبة لي وحين انظر الى مكونات الشعب العراقي اجد اليوم هو افضل من امس وثقتي كبيرة بان غد العراقيين سيكون افضل وانا متفائل بشأن مستقبل العراق.

×نتمنى ان يترجم الساسة العراقيون تفاؤل المؤرخ كمال مظهر الى واقع ملموس ويتركون جدالاتهم جانبا من اجل المواطن المبتلى بالازمات.

. اشكركم جزيل الشكر واخجلتم تواضعي. واقول ماقاله المتنبي:

ملأى السنابل تنحني بتواضع
والفارغات رؤوسهن شوامخ

فلا تهتم الى من رووسهم شامخة لأنهم في حقيقة الامر فارغون.

ضيف الخميس مع المحرر